ISSN: 1112-4628, EISSN: 2588-2449 مجلة الآداب و الحضارة الإسلامية
السنة :2021 عدد 27 مجلد : 13

جماليات شعر الطفولة في ديوان رجاء لناصر لوحيشي

The Aesthetic of child Poetry in Diwan Hope by Nasser and Hajishi

ط.د/ عبد الحكيم غضبان[1]*، أ د آمال لواتي[2]

[1] جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ قسنطينة_الجزائر Abdelhakimghadbane@gmail.com

[2] جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية/ قسنطينة_الجزائر amel.louati@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/11/16. تاريخ القبول: 2021/12/06 تاريخ النشر: 2021/12/30

ملخص:

يحتاج نظم الشعر للأطفال إلى أسس جمالية لابدّ من توافرها حتى يكتسب النّص شاعريته، وفي الوقت ذاته لا ننسى أن للمضمون أهمية كبرى في الشعر الموجّه للطفل، ولكن إضافة إلى هدف الإفادة فلأدب الطفل كذلك هدفه الجمالي؛ كون الأطفال إيقاعيون بالفطرة، ولأجل نجاح النص لابد أن يراعي الشاعر خصائص الطفل الإدراكية، فطبيعة القارئ تحتم عليه الحذر واختيار جمالياته الفنية بما يحقق مقروئية النص والهدف منه، ولقد تعامل الشاعر الجزائري في خطاباته الشعرية الموجّهة للأطفال من حيث المعجم الشعري والتركيب اللغوي والصورة الشعرية والموسيقى، الشيء الذي أسهم في تحقيق حضور النص في ذاكرة الطفل، ومن هذا البعد الذاتي اشتغلنا على أدب الطفل في جانبه الشعري، وتتحدد أهمية دراسة هذا الموضوع من خلال طرح إشكال جوهري مفاده: كيف تعامل الشاعر ناصر لوحيشي مع شعر الطفولة في مجموعته الشعرية الموجهة للأطفال "رجاء"؟ وما الجماليات الفنية التي تميز بها هذا الديوان؟

الكلمات المفتاحية: رجاء، شعر الأطفال، المعجم، الصورة، الموسيقى.

Abstract:

Writing Poetry for children requires the availability of aesthetic foundations so that the text acquires its poeticity, while at the same time, it should be borne in mind that that the content is of great importance in poetry destined to the child. But in addition to the purpose of benefiting, the children's literature also has its aesthetic goal as "children are rhythmic by nature". And in order for the text to succeed it the poet must take into account

المنارة للاستشارات

ww

the child's perceptual characteristics. The nature of the reader necessitates that he be careful in choosing his artistic items in order to achieve the readability of the text and its goal. The Algerian poet dealt in his poetic discourses addressed to children in terms of poetic lexicon, linguistic structure, poetic image and music, which contributed to achieving the presence of the text in the child's memory. Subsequently, from this subjective dimension, we worked on child literature in its poetic aspect, and the importance of studying this topic is determined by a fundamental problem is: How did Louhichi deal with child poetry in his collection "Rajaa"? What are the artistic aesthetics that characterize the collection?
Keywords: Rajaa, child poetry, lexicon, image, music.

***المؤلف المرسل: ط.د/ عبد الحكيم غضبان**

1. مقدمة

شعر الأطفال من الفنون الأدبية، التي تنبني على معايير جمالية، ليست بالضرورة قواعد مقدسة، ولكنها أسس لا ينبغي أن نغفل عنها وأقصد بهذا خاصة الذين يهتمون بالكتابة للطفل، لأنه إذا كانت القيم التربوية في شعر الأطفال وسيلة للتوجيه والتعليم فإن تقنياته الفنية غاية في حد ذاتها، لأنها تصقل نفوسهم وأذواقهم وتزودهم بقيم جمالية ضرورية، والشاعر الحقيقي لا يفرط بهذه القيم لأنها هدف تربوي أيضا.

إن الكشف عن سمات النص الشعري الموجّه للطفل ليست بالعملية الميسرة، فالنص الشعري إشكالي بطبعه، وقراءته تتطلب صبرا، وإن كان خاصا بالأطفال، لأن شعرهم لا يختلف كثيرا عن شعر الكبار، والاختلاف يكمن في المضمون والمحتوى والمتلقي، ومن ثمة يجب أن ينال إعجابهم ودونما واسطة، وأن يدخل عليهم البهجة ويساعدهم في تنمية مداركهم، ويكشف لهم طرقا جديدة يتعرفون بها على عالم الشاعر فيعيشون تجربته الجمالية.

والمعروف أن شعر الأطفال أساسه اللغة، والنص الشعري تركيبة لغوية تتنوع فيها قنواتها، من صور ورمز وموسيقى وإيقاع وصور شاعرية تخاطب الوجدان وتثير في النفس أحاسيس الفن والجمال، وهو أقرب ألوان الأدب إلى طبيعة عملية التذوق، حيث أن كلا منهما يغلب عليه الطابع الانفعالي والوجداني، والأطفال في طبيعتهم يميلون للتغني بما يستحوذ على أفئدتهم من الكلام الموسيقي المنغم، ولهذا فإن نماذج الشعر الجيد تكون ذات شأن كبير في هذا المجال، وشرط الجودة فيه أساسي، لأن الشعر الضعيف يدفع الطفل إلى الملل،

المنارة للاستشارات
ww

ولا أحد يستطيع أن يكرر أغنية عدة مرات إلا إذا كانت على قدر من الجودة والتأثير.

وأول ما سنتعرض له هو المعجم الشعري الذي خاطب به الشاعر الأطفال محاولين كشف مدى استجابته لمداركه، ومواءمته للقاموس اللغوي، تحقيقا للمتطلبات الذاتية والفكرية.

2. المعجم الشعري:

ونقصد به اللغة وبنية العبارات والجمل والتراكيب التي خاطب بها الشاعر الأطفال، من خلال إبداعاته الشعرية؛ لأن"...دراسة الخطاب الشعري لا يمكن أن يتم بمعزل عن دراسة لغته؛ لأن شعريته تنبع من بنائه اللغوي أساسا، ويمكن أن نسلم تبعا لذلك بأن طاقاته الجمالية وجميع إمكاناته الدلالية لتوليد بذورها من بنائها اللغوي"[1] ، علما أن الألفاظ تشكل الزاد الذي يستقيه الطفل من الشعر وعليه ارتأينا الوقوف عندها.

2_1_ المفردات:

ولما كان المعجم الشعري قابلا للتغيير تبعا لقدرات الشاعر على الخلق والإبداع، كان لازما على الشاعر أن يستقي من الألفاظ ما هو جدير بالإبداع ومضامينه، مستثمرا في ذلك ما تولده الألفاظ من دلالات وايحاءات تصويرية وإيقاع لإنجاح عمليتي التبليغ والتلقي لدى جمهور القراء الواسع.[2]

وليس غريبا أن يعتني الشاعر بلغته الموجهة للأطفال، بغية إيصال أغراضه التربوية وقيمته الجمالية، فنجاح هذا الشعر يتوقف على أسلوب تعامل الشاعر مع الكلمة.

فالشاعر يعبر عن براعته في الخلق والإبداع على مستوى الأطفال، ويهتم أكثر بالتراكيب اللغوية؛ وذلك بإزاحة اللفظة عن مدارها المعلوم إلى مدارات أخرى تناسبها بغية إثراء مخيلة الطفل لغويا، عن طريق تزويده بمفردات وتراكيب وعبارات لغوية قريبة من عالمه، حتى يتعود على لغته ويتعود على التفكير ويتعرف على أنماط الجمال فيها فيتكون ذوقه اللغوي وحسه الفني، "... لذا كان الشعر هو الوسيلة الوحيدة لغنى اللغة وغنى الحياة على السواء، والشعر الذي لا يحقق هذه الغاية الحيوية لا يمكن أن يسمى شعرا بحق"[3] ولإدخال الصغار في غنى هذا الكسب المستمر والمتجدد للغة، ولا سيما إذا كان متماشيا مع مراحل نموهم

---

[1]_ محمد لطفي اليوسفي: بنية الشعر العربي المعاصر، دار ميراس، تونس، 1992م، ص: 29.

[2]_ انظر: خروفة براك: شعر الأطفال والفتيان في الجزائر–رسالة ماجستير– مخطوط جامعة باجي مختار عنابة، 2002م، ص: 236.

[3]_ محمد لطفي اليوسفي: بنية الشعر العربي المعاصر، ص: 235.

المنارة للاستشارات

الإداري واللغوي.

وقد بينت القراءة المركزة لأشعار هذا الديوان تنوع المعجم الشعري، تبعا للموضوعات المطروقة والتي تتداخل أحيانا، ويمكن أن نلخص هذه المعاجم فيما يلي:

2_1_1- المعجم الوطني:

لقد تغنى الشاعر بالوطن، وقدمه للقراء الصغار بأسماء متنوعة (التراب، الجزائر، الفضاء الجميل، البلاد، وطني،...)، يستوحي منها عظمته، وكان لفظ الجزائر أكثرها تعبيرية، لأنه الاسم الذي يبرز أسطورة العشق الأزلي، الذي جمع الذات الإنسانية بهذه الأرض، ليزرع في أفئدتهم حب الوطن، وليرسم في مخيلاتهم آيات الإعجاب والجمال الكوني للجزائر، عن طريق التوعية والإشادة بالمجد العظيم، فنجد في قصيدته الموسومة "رجاء" تكرار لفظة الجزائر أربع مرات إذ نجده يقول:

جزائرنـــا ويعصـــرنا الـــذهول وهـــذي الكـــف يتعبهـــا الظلـــول
هـــي الأيـــام أمســـت مـــدبرات نـــأى الإصـــباح واختفـــت الحلـــــــــــــــــــــــول

جزائرنـــا عـــروس البحـــر يرنـــو إليـــك البحـــر والربـــان يـــدنو
شـــواطئك الجميلـــة كاســـفات علـــى الأحـــلام والآمـــال تحنـــو

جزائرنـــا هـــواؤك كـــان يشـــفي جـــراح المتعبـــين العابرينـــا
جزائرنـــا وصـــرت اليـــوم لغـــزا بـــدا ســـرّا يظـــلّ الحائرينـــا[4]

ومما يوحي بعمق الانتماء والاتصال والاعتزاز بهذه الأرض الطيبة، وتنمية العلاقات الاجتماعية وإمداده لمعلومات صالحة، عن وطنه ومجتمعه الكبير الذي يجب أن يتجدر حبه، في قلوب الأجيال الصاعدة، وعلى عاتقهم تقع مسؤولية حماية هذه الصورة المشرقة.

2_1_2- معجم الحرية والاستقلال:

[4]- ناصر لوحيشي: رجاء، دار القلم، الجزائر، ط1، 2000م، ص: 19.

المنارة للاستشارات
ww

لقد وردت بعض الألفاظ الدالة على الحرية والانتصار، بصورة تنم عن وجدان سعيد يرغب في الفيضان ليملأ نفوس الصغار، ومن هذه الألفاظ (المعتصرات، التراب، سقاه دمع، حيارى، الجواد، النصر إمارة، آمان، العزم،...إلخ)، كلها توحي بالحصول على النصر بعد التضحيات الجسام، كما توحي بحركة الزمن وصيرورته التي حولت قتامة الظلم إلى نور النصر والحرية، حيث نجد الشاعر في قصيدته التي عنوانها "جزائر هذا الفضاء الجميل" يقول:

مـــن أيـــن أبـــدأ قـــولي؟ والقـــــول في الحلـــــق مـــــــــــــات

والســـــر ظـــــل حبيســـــا يهفـــو إلى **المعصـــرات**

آه الآمان .. الآمان

يـــا قـــوم هـــذا الـــتراب **ســـقاه دمـــع الحيـــارى**

ســـألت كـــان الجـــواب و**النصـــر** كـــان **الأمـــاره**

آه الآمان .. الآمان

يـــا قـــوم هـــذي هـــذا **الفضـــاء الجميـــل الجزائـــــــــــــر**

عـــز وعـــزم وروحـــي تهفـــــو إلى المســـــتحيل

ماء وظل ظليل

رغـــم الـــدموع الغـــزار رغـــم الظـــروف العثـــار

يظـــل حلمـــي ينمـــو يحكـــي طمـــوح الصـــغار

آه الآمان .. الآمان

يـــا رب هـــذه **الـــبلاد** تـــدعوك في كـــل نـــاد

لطفـــا وحفظـــا وأمنـــا لكـــــل آت وغـــــاد

المنارة للاستشارات
ww

آه الآمان .. الآمان[5]

والحديث عن الوطن يستدعي بالضرورة الحديث عن الأسرة باعتبارها الخلية الأساسية في تكوينه.

2_1_3- المعجم الأسري:

لم يستطع الشاعر إثراء رصيد الأطفال اللغوي في مجال الأسرة، بل بقي محصورا في المحيط الضيق الذي يقطنه أفراد معينون مثل (الأب، الأم، الجد، الجدة)، وهي عموما مألوفة يحتويها قاموس الصغار اللغوي، ومثال ذلك قوله في قصيدة نشيد الوالدين:

فيـــا أمـــاه يـــا أبتـــا هـ يـــا أنشـــودة بفمـــي[6]

وقوله أيضا:

جـــدي جـــدي خـــذ مـــا عنـــدي

أنـــا لا أنســـى هـــذا عهـــدي[7]

وقوله في الجدة:

جـــدتي جـــدتي كنـــت لي عـــدتي[8]

والملاحظ من خلال هذه الأناشيد أن الشاعر أراد التوسيع في دائرة الحب عند الطفل، وينمي في نفسه الاتجاهات الطيبة نحوهم.

وعموما كان المعجم الشعري الأسري ضئيلا إلى درجة ملموسة إذا ما قيس بالزخم الهائل من الألفاظ التي يذكرها الأطفال في هذا المجال، والأسرة ليست المسؤولة وحدها على تربية الطفل، بل يضاف إلى جهودها جهود المؤسسات التربوية كالمدرسة، والمسجد... إلخ.

---

[5]- المصدر السابق، ص: 17.

[6]- المصدر نفسه، ص 11.

[7]- المصدر السابق، ص: 13.

[8]- المصدر نفسه، ص: 12.

المنارة للاستشارات

ww

2_1_4- المعجم التربوي والمدرسي:

لقد عبر الشاعر عن النشاط المدرسي، بمعجم شعري استمد مفرداته من الزاد اللغوي للأطفال، فغلبت عليه الألفاظ المألوفة مثل: (الأستاذ، التلميذ، الكتاب...)، وهذا ما نجده في قوله:

جلـــــــــيس في حيـــــــــاتي **كتـــــــب** تحيـــــي
مـــــــــــــــواتي[9]

أما الأفعال فقد كانت صارمة تحث على استمرارية العلم وقيمته: (يبقى، يمحو، سيرويني...إلخ)؛ كقوله:

كـــــل شـــــيء ســـــيزول غـــير أن **العلـــــم** يبقـــي
ينفـــــع الإســـــان دومـــــا يجعـــل **التلميـــــذ** أرقـــى[10]

والملاحظ على هذا المعجم أنه لم يخل من بعض المفردات الصعبة التي تلزم القارئ على حمل القاموس لفك لغزها، ومن بين هذه المفردات نذكر على سبيل المثال: (كنز، نور، كمدا، الدهور، منهاج...)؛ فكلها مفردات غامضة تحيل على صور حسية مبهمة ورموز ضبابية لا تستخلص معانيها بيسر، وهذا ما نجده في قوله:

لقـــــد أهـــــديتني **كنـــــزا** ســـــيبقى خالـــــدا أبـــــدا
وقـــــد أعطيتـــــني نـــــورا ســـــيمحو الحـــــزن
والكمـــــــــــــــــدا[11]

وقد استطاع الشاعر أن يمثل بصور الطبيعة الجميلة، في تكريسه لقيمة العلم بالنسبة للطفل، وهي الصورة التي يجيدها الطفل في هذه المرحلة.

2_1_5- المعجم الطبيعي:

[9]- المصدر نفسه، ص: 9.
[10]- المصدر نفسه، ص: 9.
[11]- المصدر السابق، ص: 8.

المنارة للاستشارات
ww

تعد الطبيعة العالم المفتوح الذي يحتضن الأطفال بحب، تاركا لهم الفرصة لإشباع رغباتهم الحيوية، واستهلاك قواعدهم الاندفاعية، وتنشيط الفكر والجسد، وتنوع المعجم الشعري بين مفردات تعبر عن الطبيعة الصامتة، بكل محتوياتها الكثيرة والمتنوعة، وأخرى تخص الطبيعة الحية متحركة بمختلف عناصرها، فكان هذا المعجم بمثابة الموسوعة التي تثري رصيد قارئها اللغوي من ناحية المفردات، بتزويده بأسماء عناصر الطبيعة ومظاهرها، كما تثري مداركه المعرفية بتزويده بمعارف متنوعة، وتطلعه على حركة الفصول، وتبين له أهمية الأشجار ودورها في التوازن البيئي[12]. ومن المفردات التي احتواها المعجم الخاص بالطبيعة:

– ألفاظ خاصة بالزمن: (الربيع، الظلال، الخريف، النور...)، وهي ألفاظ تعبر عن حركة الكون المتناسقة بشكل عجيب وهذا ما نجده في قوله:

يـــا **ربيـــــع** الكـــون هـــل تـــدرك حلمـــــــــــــــــــــــي فغـــدا ألقـــاك **مخضـــرّ** الجبـــين

وغـــــدا ألقـــــاك زينـــــت بـــــلادي ودفنـــــت الآه حـــــزني ورنيـــــني[13]

– ألفاظ تدل على الأفلاك: (نجم، قمر، سحاب...)، وهي مفردات بعضها يجمع بينها عنصر الإشراق كقوله:

زيتـــــــــونتي كنـــــــت لنـــــــا	رعـــاك **نجـــم وقمـــر**[14]

– ألفاظ تدل على الوفرة والسخاء: (عيث، مياه، ثمر...)، وهي نماذج تدل على العطاء السخي، الذي ينعش الحياة كقوله:

بأنـــك الأفضـــل مـــن جـــنى **الخريـــف** يـــا ثمـــر[15]

وقوله أيضا:

[12]– خروفة براك: شعر الأطفال والفتيان في الجزائر، ص: 256.

[13]– ناصر لوحيشي، رجاء، ص: 15.

[14]– المصدر السابق، ص: 14.

[15]– المصدر نفسه، ص: 14.

المنارة للاستشارات
ww

زيتـــــونتي المباركـــــة سـقاك **غيـــث ومطـــر**[16]

– ألفاظ تدل على الخصب والنماء: (شجر، حقول، زهر...)، وهي ألفاظ يجمع بينها عنصر الجمال كقوله:

لم يعلـــم الـــذي ســـعى **إلـــى حقـــول وزهـــــــــر**[17]

كما أن المعجم الشعري الطبيعي لا يخلو من بعض الألفاظ الغامضة التي تحتاج إلى تذليل لغوي، منها: (هيجت، غيث، نجم، مخضر، الكون، سحر...)، مثل قوله:

أيهـــا النـــور الـــذي يســـطع أنـــت **هيّجـــت** فـــؤادي وحنيـــني دومـــــــــــــــــا

أنـــت **ضـــــوّأت** حيـــاتي أنـــت **أبعـــدت** جراحـــي وأنيـــني ومـــــــــــــــــرادي

أنـــت **أحييـــت** قلوبـــا وعقـــولا وزرعـــــت الســـــر في تلـــــك الســـــــــــــــــــنين[18]

والشاعر قد اختار الزيتونة كعنصر طبيعي مقدس، رغبة منه في الإحالة على قيمة دينية وأخلاقية.

2_1_6– المعجم الديني:

لقد وجد الشاعر في القرآن الكريم النموذج المحتذى؛ لما يتميز به من روعة البيان وسلامة المنطق، فتأثر به في لغته الشعرية، وتتجلى في صياغته لغة وتعبيرا، واقتبس من آياته ما يوضح الفكرة ويعمقها؛ "لأن

[16]– المصدر نفسه، ص: 14.

[17]– المصدر نفسه، ص: 14.

[18]– المصدر نفسه، ص: 15.

المنارة للاستشارات
ww

كل ذلك سوف يزيد من حب الطفل لربه الذي أبدع هذا الكون ورعاه بحكمته وقدرته ورحمته".[19]

ويبدو أن الشاعر قد استمد مفردات معجمه الشعري الديني من التراث الإسلامي قرآنا وحضارة، ما عكس امتلاكه لهذه اللغة وتوظيفها للتعبير عن قضاياه، ومن هذه المفردات أسماء الله الحسنى (الرحيم، الرشيد...)، وكذلك نجد (الحسد، أكره...)، وهي مفردات وردت في الآيات القرآنية، حيث نجد الدليل في الآية الثالثة من سورة الفاتحة: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

وهذه الألفاظ تثري قاموس الأطفال اللغوي وتقوي قدراتهم التعبيرية، ونجد ذلك في قوله:

أنـــا لـــن **أكـــرهنْ** أحـــدا جعلـــــت الله لي ســـــندا
وقلـــــبي طـــــاهر دومـــــا فـــلا **مكـــــرا** ولا **حســـــدا**
فهيـــئ يـــا **رحـــيم** الآن مـــن أحوالنـــا **رشـــدا**
و**صـــن** أرضـــا لنـــا أبـــدا ســـقتها عيننـــا أمـــدا[20]

فالبيت الشعري قد حوى صورا توحي برغبة الشاعر في إرسال قيمة أخلاقية يحتاج الطفل أن يستوعبها ويأخذها معنى ذاتيا يزيد له في تعبئة شعوره.

2_1_7- المعجم الأخلاقي:

لقد وظف الشاعر الألفاظ الدالة على قيم أخلاقية كنموذج يقتدى به، ومن بين هذه الألفاظ: (الصبر، الشكر، الصحبة...)، وهي تسهم كلها في النمو الاجتماعي والعقلي والعاطفي للطفل، وهذا ما نجده في قوله:

أنـــا لســـت أنســـى **صـــحبتي** كـــل المحاســـن جمّعـــوا
صـــبرا فـــإن البـــدر مـــن تلـــك العيـــون ســـيطلع
شـــكرا لكـــم يـــا صـــحب **شكـــ** **را** ردّدوهـــا واسمعـــوا

[19]- محمد حسين بريغش: أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، د تط، ص: 19.

[20]- ناصر لوحيشي: رجاء، ص: 10.

المنارة للاستشارات
ww

أنـــا لـــن أقـــول إلى اللقـــا أنـــا لـــن أقـــول: أودع![21]

وعموما فقد وظف الشاعر معجما شعريا يتماشى وطبيعة الموضوعات المعبر عنها، فكانت مفرداته سليمة، لا تخلو من عنصر الجمال والإيحاء، أما سهولتها فنسبية؛ لأن الشاعر لم يعتمد عموما على المعنى القاموسي للألفاظ بقدر ما عمل على تفجير طاقاته الإيحائية، مستندا في ذلك على قصر العبارة ووضوح المعنى السياقي بإيصال معانيه للقراء الصغار؛ لأن النص الشعري أساسا "خطاب متميز يضمر... أكثر مما يصرح، موح يَأبى أن يفصح عن ظاهرة وحقيقة للوهلة الأولى، بل نراه يمعن في التخفي والتكتم والخداع وراء شعرية الكلمات"[22] ، وهذا ما نجده واضحا يتجلى في الأبنية والتراكيب التي حواها الديوان.

3_ الأبنية والتراكيب:

تعد الأبنية البسيطة التركيب من الأساليب الميسرة للقراء الصغار والمحببة إليهم، ولا سيما إذا كان الشعر هو الذي "يمدهم بالألفاظ والتراكيب اللغوية البسيطة الواضحة والمترابطة التي تنمي ثروتهم اللغوية..."[23] ، لذا حرص الشاعر على أن تكون العبارة القصيرة الجميلة والحاملة للفكرة هي أساس أشعاره إلا فيما ندر.

ويبدو أن لوزن النص الشعر أثرا بارزا في تركيبه وأبنيته، وكلما أثرت تفعيلات البحر طالت التراكيب والأبنية، لذا كان اعتماد الشاعر على البحور المجزوءة القصيرة في غالبية نتاجه الشعري عاملا مساعدا على تقديم أبنية بسيطة التراكيب من الجمل الفعلية والاسمية، فتعددت النماذج التي نظمت على مجزوأي المتدارك والرجز اللذين يتميزان بتقديم أبنية قصيرة بسيطة.

ففي نص بعنوان (جدّتي .. جدّتي) يقول (على مجزوء المتدارك):

جـــدّتي جـــدّتي كنـــت لي عـــدّتي

إيـــه يـــا فـــرحتي بـــك يـــا **جـــدتي**

[21]– المصدر السابق، ص: 20.

[22]– رضا بن حميد: الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى الشكل البصري، مجلة فصول، العدد2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996م، ص: 96.

[23]– محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1995م، ص: 69.

المنارة للاستشارات

جدّتي جدّتي[24]

إن الشحنات العاطفية التي انطوى عليها هذا النص قد جسدتها الأصوات التي انسجمت وحركية الوزن، ما خلق نوعا من التآلف الذي يشد القارئ الصغير؛ "لأن الشحنة الصوتية التي تنطوي عليها الجملة بإسكانها تتحكم بمصير القصيدة كاملة، وليس مصيرا لجملة وحدها، فالطفل يمتلك حساسية فريدة من نوعها إزاء الأصوات، بل إنها تفوق حساسيته إزاء أي مظهر حيوي آخر، ولا نقصد بالصوت الذبذبات التي يحدثها الكلام فقط، بل نوع النطق وقوته ومدى قدرته على التعبير وتجسيد كل ما يقف وراءه حدثا كان أو شعورا"[25]

كما لا يقل مجزوء الرجز عذوبة عن مجزوء المتدارك، فهو أيضا من البحور التي تمد الشاعر بأبنية بسيطة قصيرة، ومن الأمثلة على ذلك قوله:

زيتـــــــــونتي المباركـــــــــة ســـــــقاك غيـــــــث ومطـــــــر
قـــــد وجـــــدت مـــــن قبـــــل مـــــا كانـــــــت ميـــــــاه وشـــــــجر
نمـــــــت هنـــــــاك بعـــــــدما حـــــل الســـــحاب والســـــحر
زيتـــــــــونتي شـــــــــفاؤك مـــــن كـــــل مـــــا قـــــد ينتشـــــر[26]

وقد عثرت في الديوان على بعض التراكيب الطويلة، التي يصعب على الأطفال قراءتها وحفظها، وهذا ما نجده في قوله:

أيهـــــا النـــــور الـــــذي يســـــطع أنـــــت هيجـــــت فـــــؤادي وحنيـــــني دومـــــــــــــــــــــــــــــا
أنـــــت ضـــــوأت حيـــــاتي ومـــــرادي أنـــــت أبعـــــدت جراحـــــي وأنيـــــني[27]

---

[24]- ناصر لوحيشي: رجاء، ص: 12.
[25]- خروفة براك: شعر الأطفال والفتيان في الجزائر، ص: 261.
[26]- ناصر لوحيشي: رجاء، ص: 14.
[27]- المصدر نفسه، ص: 15.

المنارة للاستشارات
ww

وقوله أيضا في قصيدة رجاء:

جزائرنـــا ويعصـــرنا الـــذهول وهـــذي الكـــف يتعبهـــا الظلـــول

هـــي الأيـــام أمســـت مـــدبرات نـــــأى الإصـــــباح واختفـــــت الحلـــــــــــــــــــــــــول[28]

ويبدو أن الجملة الاسمية كانت أكثر حضورا من الجملة الفعلية؛ لأن الأولى أكثر تأثيرا على الذات من الثانية، والقارئ الصغير ميال إلى الأسماء من الأفعال، ونجد ذلك في قول الشاعر:

جزائرنـــا ويعصـــرنا الـــذهول وهـــــذي الكـــــف يتبعهـــــا الظلـــــــــــــــــــــــــول[29]

أما الجمل الفعلية فقد سارت غالبيتها على معلم الحاضر؛ لأنها كانت تخاطب المستقبل المتمثل في الأجيال المتطلعة (الأطفال)، يقول الشاعر:

شـــــــرحت الصـــــــدر بقـــــول الله يـــــدفعني

أســـــــــــــــــتاذي

ســـأبلغ مـــا **تؤملـــه** ومـــا **ترجـــو وتنتظـــر**[30]

وقد كانت الجمل عموما من النوع البسيط المعروف في النحو العربي؛ لأنها النوع المحبذ لدى القارئ الصغير، الذي يعتمد في مراحله الأولى على الحفظ.

لكن نجده في بعض الأحيان يتجاوز بناء الجملة البسيطة إلى الجملة المركبة التي يستعصي على الطفل في بعض الأحيان نطقها كاملة، ومثال ذلك في جمل (أيها النور الذي يسطع دوما)، (أنت ضوأت حياتي ومرادي)، و(قد وجدت من قبل ما كانت)...

[28]- المصدر السابق، ص: 19.

[29]- المصدر نفسه، ص 19.

[30]- المصدر نفسه، ص: 8.

المنارة للاستشارات

ww

ومما سلف نخلص إلى القول بأن المفردات كانت متفاوتة من حيث بساطتها، لكنها عموما في متناول القراء الصغار، إلا في القليل منها، كما تراوحت التراكيب والجمل ما بين الجمل البسيطة القصيرة سهلة النطق والحفظ، والجمل المركبة التي تحتاج إلى بذل جهد، سواء كان عند نطقها أو حفظها، كما لا يخلو هذا المعجم من بعض المفردات الصعبة، وأهم ميزة خصت هذا المعجم هي سلامة اللغة من الأخطاء، وندرة الألفاظ العامية، مما يؤكد رغبة الشاعر في تلقين الأطفال اللغة الفصيحة السليمة.

4. الصورة الشعرية:

تعد الصورة الشعرية الموظفة لعالم الطفولة الأداة التعبيرية الفاتنة الواضحة في علاقاتها، غير المغرقة في مجازاتها الدلالية، فالشعر والصورة الشعرية كالورقة لا ينفصلان، فوجود الشعر يستدعي بالضرورة حضور الصورة الشعرية، والصورة الشعرية تستدعي حضور الشعر، ولا يمكن فصلها عن بعض، فكل واحد منهما مكمل للآخر، فشعر الأطفال لا يبتعد عن الشعر العام إلا فيما يتعلق بالعمر الزمني والإدراكي للقارئ الصغير الذي يفترض تبسيط معايير نظمه، "لذا فهو يتوسل بهذه الوسيلة التي تفجر المخيلة، وتهذب الذوق وترقيه، وتزود الأطفال بقدرات تعبيرية وأساليب إبداعية".[31]

ولقد حدد المهتمون بأدب الطفل عموما والشعر خصوصا نوعية الصورة المناسبة لمدارك الأطفال والموائمة لاستعداداتهم والمحتوية لخبراتهم وتجاربهم، وركزوا على الصورة الحسية لأنها القادرة "... على تحقيق الإثارة والدهشة وتحفيز الذهن بمحفزات واضحة...".[32]

ومن ثم كان التصوير المتنوع من أسباب نجاح شعر الأطفال، لأنه يلبي رغبات هذه الشريحة الواسعة، وهو ما حرص الشاعر سليمان عيسى على تجسيده في نتاجه الشعري الموجه للصغار، إذ يقول: "إنني أحرص على أن تكون في النشيد الذي أكتبه للصغار... الصورة الشعرية الجميلة التي تبقى مع الطفل طوال حياته... مرة ألتقطها من واقع الأطفال وحياتهم، ومرة استمدها من أحلامهم وأمانيهم البعيدة".[33]

ولقد كان للصور الشعرية حظ وافر في هذا الديوان، بالرغم من ارتباطه بمقاصد وغايات تعليمية أو تهذيبية، وهو ما يتطلب المباشرة والوضوح وعدم المبالغة، ومن بين هذه الصورة نجد التشبيه في قوله:

---

[31]- خروفة براك: شعر الأطفال والفتيان في الجزائر، ص: 265.

[32]- المرجع نفسه، ص: 265.

[33]- سليمان عيسى: باقة نثر، ص: 273.

المنارة للاستشارات
ww

يـــا ربيـــع الكـــون هـــل تـــدرك فغـــدا ألقـــاك **مخضـــر**
حلمـــــــــــــــــــي **الجبـــــــــــــــين**[34]

فالشاعر قد استخدم الربيع؛ لأنه الفصل الذي يبعث البهجة والسرور، وهو المحبذ لدى الطفل، وهي استعارة مكنية.

وقوله أيضا في قصيدة بعنوان (سيأتي الصباح):

أملـــي الغـــافي تلاشـــى بوريقـــات الـــذهول
والربيـــع الآن يشـــكو حـــين غطاهـــا
الأفـــــــــــــول[35]

ففي هذا البيت يجمع الشاعر بين الربيع والطفل في معاناته، فالربيع يشكو الأفول، في حين أن الطفل يشكو المأساة، فجمع بينهما رغبة منه في إضفاء صورة شعرية جميلة.

كما استغل الشاعر قداسة شجرة الزيتون لإضفاء صورة جمالية، من خلال قوله في قصيدته بعنوان (زيتونتي):

زيتـــــــــونتي سقـــــــاك غـــــيث
المبـــاركـــــــــة ومـــــــــــــطر
قـــد وجـــدت مـــن قبـــل كانـــت ميـــاه وشـــجر[36]
مـــــــــــــا

وهذه الصورة الجمالية تعمل على تغذية الجانب الروحي والطبيعي للطفل؛ لأنه رمز للأمل والسلام والأصالة، فالشاعر قد تعامل مع عناصر الطبيعة تعاملا رمزيا، فالربيع رمز للطفولة والحياة والاستمرارية؛ لأن الطفولة بجمالها ونظراتها معادل موضوعي، مثل الربيع المشرق الذي يبعث الحياة من جديد.

[34]- ناصر لوحيشي: رجاء، ص: 15.
[35]- المصدر السابق، ص: 18.
[36]- المصدر نفسه، ص: 14.

المنارة للاستشارات
ww

ونجده في قصيدته التي بعنوان (أستاذي) يقول:

لقـــد أهـــديتني **كنـــزا** ســـيبقى **خالـــدا** أبـــدا

وقـــد أعطيتـــني **نـــورا** ســـيمحو **الحـــزن والكمـــدا**[37]

هنا نجد البيت يحمل صورة شعرية تتمثل في قيمة العلم الذي مثله بالكنز الذي لا يعرف الزوال والاندثار، وهي كناية عن الجهل.

كما شبه الجزائر بعروس البحر من خلال قوله:

جزائرنا عروس البحر يرنو إليك البحر والربان يدنو[38]

فالشاعر يريد غرس حب الوطن من خلال تصويره الحسي له.

ثم نجد الشاعر يذهب في قصيدته التي بعنوان (نشيد الوالدين) ليشبه الأم بالبسمة الخضراء:

فيـــا **أمـــاه** أنـــت البـــدء في الأفـــــــراح والألم

وأنـــــت **البســـــمة** جعلتـــــك خفقـــــة

الخضـــــــــــرا بـــــــــــدمي[39]

وهذا دلالة على أن الأم منبع للفرحة والسرور.

وفي الأخير يمكن القول إن الصورة الشعرية في هذا الديوان كانت مناسبة نوعا ما لعالم الطفولة، وإن كانت في مواضيع غير واضحة في علاقاتها مغرقة في المجازات الدلالية، وكان بإمكان الشاعر استخدام الصورة الشعرية المباشرة السهلة الواضحة في علاقاتها، ليتمكن الطفل من الفهم؛ لأن خيال الطفل في هذه المرحلة محدود، ومجال تفكيره ضيق.

5. الموسيقى:

[37]- المصدر نفسه، ص: 8.

[38]- المصدر نفسه، ص: 19.

[39]- المصدر السابق، ص: 11.

المنارة للاستشارات

ww

إن اختيار الموسيقى إلى جانب اللغة والصورة والرمز لا تقل دقة وصعوبة عن اختيار أفكارها وأبعادها الفنية الأخرى، إنها جزء لا يتجزأ من عملية الخلق الفني، وهي تحقق اللذة والمتعة في أواسط القراء، ولا سيما القارئ الصغير.

وقد استطاع الشاعر أن يضع يده على موسيقى الألفاظ وأن يفجر طاقتها الكامنة، مستعينا بكل عناصر الشعر الأخرى؛ كالصورة والفكرة والخيال، واللفظة هي الأداة الأولى له. لذا عمد إلى تطعيم أشعاره الموجهة للأطفال بموسيقى عذبة يتغنون بها، وتبقى معهم ذكرى جميلة يترنمون بها كلما حنوا إلى أيام الطفولة البريئة النقية.

لقد استعان الشاعر في هذا الديوان بعروض الخليل؛ لأن الطفل يعشق الترنم والتغني؛ و"الشعر يستمد من أوزانه وقوافيه إيقاعات موسيقية جميلة، قد تكون واضحة رنانة في الشعر التقليدي الذي يلتزم بوحدة البيت، وقد تكون هادئة ناعسة في الشعر الجديد الذي يجعل من التفعيلة لبنته الأولى دون الالتزام بوحدة البيت"، وبعد استقراء النماذج الشعرية التي تضمنها الديوان تبين لنا أن غالبية أشعاره نظمت على البحور المجزوءة التي تبعث على التغني والإنشاد، وهو ما يؤكد عناية الشاعر بالبحور التي تعد عناصر أساسية في التأليف الشعري الموجه للصغار.[40]

وإذا كان حظ الصورة قليلا فإن البنية الإيقاعية أوفر حظا، فهناك ثراء وتنوع كبير في استخدام البحور الشعرية في أنماطها المختلفة التامة والمجزوءة، وقد احتل البحر الوافر المرتبة الأولى على الإطلاق في هذا الديوان، لمناسبته للشعر التعليمي.

وهذا الجدول يبين النسب المئوية للبحور الشعرية التي سيطرت على المنظومة الإيقاعية للنصوص وهو كالتالي:

البحور الشعرية	الأنشودة	النسبة المئوية
الوافر	– أستاذي – براءة ودعاء – نشيد الوالدين	% 35.71

[40]– أحمد نجيب: المضمون في كتب الأطفال، دار الفكر العربي، بيروت– لبنان، ط1، د.تط، ص: 94.

المنارة للاستشارات
ww

	– أرعاك يا وطني – رجاء	
الرمل	– العلم باق خالد – النور – سيأتي الصباح	%21.42
الرجز	– بسمة – زيتونتي	% 14.28
المتدارك	– جدّتي جدّتي – جدّي جدّي	% 14.28
الكامل	– نشيد الوداع	% 7.14
المجتث	– جزائر هذا الفضاء الجميل	% 7.14

ويتضح ذلك من خلال تقطيعنا لبعض الأبيات:

مجزوء الوافر:

يقول الشاعر في قصيدة (أستاذي):

جزاك الله سيدنا مدى الأيام والزمن [41]

0///0//|0/0/0// 0///0//|0/0/0//

مفاعلْتن | مفاعلَتن مفاعلْتن | مفاعلَتن

وفي موضع آخر من قصيدة (براءة ودعاء) يقول:

أنا لن أكرهن أحدا جعلت الله لي سندا[42]

[41]– ناصر لوحيشي: رجاء، ص: 8.

[42]– المصدر نفسه، ص: 10.

المنارة للاستشارات

0///0//|0/0/0// 0///0//|0/0/0//

مفاعلْتن | مفاعلَتن مفاعلْتن | مفاعلَتن

فهذه القصيدة تحمل قيما أخلاقية تحتاج إلى بحر شديد الوقع كبحر الوافر؛ لكي تكون قريبة من إدراك الطفل.

ويقول أيضا في قصيدة بعنوان (نشيد الوالدين):

فيا أمـــــاه يا أبتا هـ يا أنشــودة بفمي[43]

0///0//|0/0/0// 0///0//|0/0/0//

مفاعلْتن | مفاعلَتن مفاعلْتن | مفاعلَتن

وبالرغم من دخول بعض الزحافات والعلل إلا أن هذا البحر بقي محافظا على خاصيته الطبيعية والرقة في الصوت.

ونجد الشاعر في موضع آخر يتغنى بالوطن في قصيدة عنوانها (أرعاك يا وطني) يقول:

أنا أرعاك يا وطني برغم الجرح والمحن[44]

0///0//|0/0/0// 0///0//|0/0/0//

مفاعلْتن | مفاعلَتن مفاعلْتن | مفاعلَتن

فقد جاء هذا البحر شديد الوقع، يطرب الآذان ويتناسب مع طبيعة المواضيع التي تقدم للأطفال.

الوافر التام:

ويقصد به البحر الذي لم يستخدم مجزوءا ولا منهوكا ولا مشطورا؛ أي جاءت تفعيلاته تامة غير منقوصا، وقد وظفه الشاعر في قصيدة (رجاء) التي صدر بها عنوان مجموعته:

[43]- المصدر نفسه، ص: 11.

[44]- المصدر السابق، ص: 16.

المنارة للاستشارات

جزائرنا ويعصرنا الذهول وهذه الكف يتعبها الظلول[45]

0/0//|0///0//|0///0// 0/0//|0///0//|0/0/0//

مفاعلَتن | مفاعلَتن | فعولن مفاعلْتن | مفاعلَتن | فعولن

والملاحظ أن بحر الوافر قد احتل النسبة الأكبر في هذا الديوان؛ لأنه أكثر البحور "مرونة، يشتد ويرق كما تشاء، وهو أجود عندما يكون في الفخر والرثاء"[46] ، وهذا النوع من البحور الصافية الأوزان خفيفة الوقع يليق بشعر الأطفال، ويلائم التركيب النفسي للطفل، ولا ينتمي للبحور الطويلة المملة.

مجزوء الرمل:

نجد هذا النمط من الأوزان الشعرية في قصيدة (سيأتي الصباح):

آهِ إن القلب يدمى والفضاءات جراحُ[47]

0/0//0/|0/0//0/ 0/0///|0/0//0/

فاعلاتن | فاعلاتن فاعلاتن | فعلاتن

فالشاعر استعمل هذا البحر ووظفه لأنه ربما وجده أكثر مواءمة للتعبير عن الحزن.

وفي موضع آخر نجده في قصيدة (العلم خلد باق) يقول:

كل شيء سيزولْ غير أن العلم يبقى[48]

00///|0/0//0/ 0/0//0/|0/0//0/

فاعلاتن | فعلاتْ فاعلاتن | فاعلاتن

الرمل التام:

وظفه في قصيدة جاءت تحمل عنوان (النور):

---

[45]- المصدر نفسه، ص: 20.

[46]- صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، مكتبة المثنى، بغداد، ط1، 1977م، ص: 84.

[47]- ديوان رجاء، ص: 18

[48]- المصدر السابق، ص: 19.

المنارة للاستشارات

أيهـا النـــور الذي يســـطع دوما أنت هيجـــت فؤادي وحنيني[49]

0/0///|0/0///|0/0//0/ 0/0///|0/0//0/|0/0//0/

فاعلاتن | فاعلاتن | فعلاتن فاعلاتن | فعلاتن | فعلاتن

ولعلنا نلاحظ أن هذه القصيدة قد استغرقت هذا البحر؛ لأنه يجعل الموسيقى أكثر عذوبة ورشاقة يحبها الطفل، وهذا البحر لكثرة ما يتميز به من سرعة النّطق وملائمته للفرح والحزن، لأجل ذلك عمد الشاعر إلى استعماله[50] ، كما أنه يستعمله لجعل الموسيقى حلوة ذكية، لذا استغل الشاعر نغمة (الرمل) وهو رشيق عذب، ليجعل الإيقاع متنوعا أخاذا يلائم ميولات الطفل.

مجزوء الرجز:

وظفه في قصيدة (زيتونتي):

زيتـــونتي المبارَكهْ سقاك غيث ومطر.[51]

0///0/|0//0// 0//0//|0//0/0/

مستفعلن | متفعلن متفعلن | مستعلن

فالشاعر استعمل هذا البحر لخفته وسرعة إيقاعه، ما يجعل الأشعار أكثر نفاذا في قلوب الصغار.

وفي قصيدة (بسمة):

يا بســـمةً أزفـــها أنـــثرهـا عليـكمُ [52]

0//0//|0///0/ 0//0//|0//0/0/

مستعلن | متفعلن مستفعلن | متفعلن

كما يعد بحر الرجز من البحور الخفيفة القريبة إلى النثر لكثرة ما يتحمله من تحويرات وتغييرات، فقد

[49]– المصدر نفسه، ص: 15.

[50]– صفاء خلوصي: فن التقطيع والقافية، ص: 133.

[51]– ديوان رجاء، ص: 14.

[52]– المصدر السابق، ص: 7.

المنارة للاستشارات

سمي حمار الشعراء[53] ، وهو من البحور المحببة لدى الطفل، سريع الإيقاع، ويجعل الأشعار أكثر نفاذا إلى قلوب الصغار وآذانهم، ويستعمل دائما للمقطوعات التعليمية.

مجزوء المتدارك:

نجده في قصيدتي (جدتي .. جدتي)، و(جدي .. جدي):

جـدتي جـدتي كنت لي عـدتي[54]

0//0/|0//0/ 0//0/|0//0/

فاعلن | فاعلن فاعلن | فاعلن

وقد استعمل الشاعر هذا الوزن رغبة منه في الحصول على إيقاع خفيف سريع النفاذ إلى قلوب الأطفال، كقوله:

جَـدِّي جَدِّي خـذ ما عندي[55]

0/0/|0/0/ 0/0/|0/0/

فعْلن | فعْلن فعْلن | فعْلن

ورغم قلة استعماله في أدبنا الحديث إلا أن الشاعر قد أدرجه في قصائده؛ لأنه من البحور التي تعبر عن الإيقاع الخفيف والسريع، وإنما "أكثر ما يصلح لإيراد نكتة أو محاكاة وقع المطر..."[56]، ويستخدم المتدارك بإيقاعه الراقص، والتطريب هو الصفة الغالبة عليه، مما يخلق جوامحا وحسا رائقا تنتشي به قلوب الأطفال، ونجد الشاعر رغم درايته الكافية بتوظيف البحور الشعرية إلا أنّ اشتغاله كان على بحر المتدارك.

مجزوء الكامل:

نجده في الأنشودة التي عنوانها (نشيد الوداع):

---

[53]- صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، ص: 133.

[54]- ديوان رجاء، ص: 12.

[55]- المصدر نفسه، ص: 20.

[56]- صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، ص: 195.

المنارة للاستشارات

ww

أنا لن أقول إلى اللقا أنا لن أقول أودع[57]

0//0///|0//0/// 0//0///|0//0///

متَفاعلن | متَفاعلن متَفاعلن | متَفاعلن

على الرغم من احتلال بحر الكامل الصدارة في الشعر العربي الحديث، إلا أنه يجود في الخبر أكثر منه في الإنشاد، وهو إلى الشدة أقرب منه إلى الرقة[58] ، وهو من البحور الطويلة، فيصعب على الطفل تذوقه، لذا أورده الشاعر بنسبة قليلة.

مجزوء المجتث:

نجده في قصيدة (جزائرنا هذا الفضاء الجميل):

من أين أبدأ قولي والقول في الحلق ماتْ[59]

0/0///|0//0/0/ 00//0/|0//0/0/

مستفعلن | فعلاتن مستفعلن | فاعلاتْ

يعد المجتث من البحور الشعرية التي تلائم الهدهدة، إلا أن الشاعر استخدمه بنسبة ضئيلة.

ولقد دخلت على التفعيلات بعض الزحافات والعلل، كالقطع والخبن والقصر...إلخ، حتى غيرت من صورتها الطبيعية المعهودة، كما اعتمد الشاعر بشكل أساسي على الأوزان المجزوءة؛ لما توفره من ثراء في الإيقاع، وعادة ما يكتب الشعراء للأطفال على الوزن المجزوء لأنه ضامن للخفة والانسيابية الإيقاعية.

ويبدو جليا ذلك التمازج البديعي بين الإيقاع الصوتي الخارجي العروضي وبين الإيقاع الداخلي، مما جعل النص حركيا يعمق رغبة الطفل الصغير في القراءة، بل ويفتح شهيته للحفظ والإنشاد.

ولعلنا نلاحظ أن ما يميز أشعار الديوان عموما هو توافر ما يسمى بالموسيقى الداخلية التي عادة يوفرها تآلف الحروف داخل البيت الواحد، بحيث يسهل للقارئ أن ينشد هذا البيت في يسر، وإن مثل هذا

[57]- ناصر لوحيشي: رجاء، ص: 20.

[58]- صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، ص: 95. 97.

[59]- ديوان رجاء، ص: 19.

المنارة للاستشارات

ww

التقطيع لا يؤثر تأثيرا كبيرا في نفس القارئ الصغير، ويجعله يشاطر الشاعر مشاعره.

كما تتميز أشعاره أيضا باحترامه للقافية عبر الأشكال الشعرية؛ إذ لم يتحلل الشاعر منها، وإن كان يلجأ أحيانا إلى التنويع فيها مثلما ينوع في توزيع تفعيلات البحور؛ لأن القافية بمثابة اللافتة التي تصرح بعلامة (قف) للشاعر حين يكون في ذروة اندفاعه وانسيابه، فتقطع أنفاسه وتسكب الثلج على وقوده المشتعل، وتضطره إلى بدء الشوط من جديد".[60]

كما أنها تفسح المجال للقارئ لاختيار جماليات النص والاستعداد لاستقبال الجديد، ومن بين الأمثلة لتي تشير إلى وحدة القافية نذكر منها على سبيل المثال في قصيدة (سيأتي الصباح):

آه إنّ القلـــــب يـــــدمي والفضـــــاءات **جـــــراحْ**
طـــال ذاك الليـــل لكـــن ســـيجي ذاك **الصـــباح**
يـــا غريـــب الأرض إنـــا نـــذرف الآن الـــدّمـــوع
والأنـــــين الآن منـــــا قـــد كســـا كـــلّ الـــربـــوع[61]

وفي الأخير يمكن القول إن الشاعر ناصر لوحيشي، قد قدم أشعارا في حلى متنوعة، حبا ورغبة منه في جعل الأطفال يترنمون ويغنون الشعر، بحيث يصور خبراتهم ويلامس عالمهم، وعلى الرغم من ميوله إلى البحور الخفيفة ذات الإيقاع المتسارع إلا أنه أثقل ممشى الإيقاع في بعض القصائد، كما أنه لم يلتزم بالحذف الذي أوجبه العروضيون في عروض الرمل التام من خلال قصيدة النور، لكن هذا لا ينفي جماليات الإيقاع، فالشاعر نجح في إيصال قيمه التربوية والأخلاقية بطرائق فنية، على الرغم من بعض الصعوبات التي تكتنف النماذج، حيث تبقى المعرفة العلمية للطفولة وعالمها السيكولوجي أساسية، وذلك لتقديم نص طفولي شعري دقيق.

خاتمة:

وبعد هذه الدراسة المقتضبة يمكن أن نقول إن البحث قد خلص إلى النتائج الآتية:

[60]- خروفة براك: شعر الأطفال والفتيان في الجزائر، ص: 309.

[61]- ناصر لوحيشي: رجاء، ص: 18.

المنارة للاستشارات
ww

– طرق الشاعر موضوعات هامة حملت بين طياتها أهدافا تربوية قيّمة، لكنه وقع في القليل من الأحيان في مشكلة المعالجة وكيفية التقديم، والتي غلبت عليها القتامة والبعد عن مستوى إدراك الطفل.

– الموضوعات التي تناولها الشاعر جاءت مناسبة للقارئ المستهدف من وراء هذه الأناشيد، حيث تبدو هذه الموضوعات أنسب ما تكون إلى مرحلة الطفولة المتأخرة التي أهم ما يميزها هو الانتقال من عوالم الخيال والخرافة إلى عالم الواقع.

– تركيز الشاعر على بعض الموضوعات (الوطن، الأسرة، المدرسة...) وإهماله للبعض الآخر المهم في حياة الطفل، كالموضوع الترفيهي.

– ابتعد الشاعر عن الترجمة والاقتباس واتخذ من الواقع المعيش منبعا يستقي منه موضوعاته.

– أما الأبنية والتراكيب فقد قدم الجملة الاسمية على الجملة الفعلية وهو المحبذ لدى الطفل، واستخدم التراكيب القصيرة أكثر من التراكيب الطويلة.

– غالبية الصور الشعرية كانت مغرقة في مجازاتها الدلالية البعيدة عن إدراك الطفل.

– استخدم الشاعر البحور المجزوءة الخفيفة بغية تسريع الإيقاع، وغلب بحر الوافر على حضور البحور الأخرى.

– نوع الشاعر معجمه الشعري بتنوع موضوعاته، حيث مزج بين البسيط والصعب، ونلاحظ تصارع النظرة الكئيبة والتشاؤمية وبين نظرة الأمل والتفاؤل.

– اختيار الشاعر لأشعاره عناوين ذات بنى تنفتح على دلالات شتى، حيث يمكن أن يحيل مباشرة على عالم الطفولة.

– على العموم كانت مجموعة "رجاء" للشاعر ناصر لوحيشي غنية بالموضوعات القيّمة التي تفيد الطفل وتساعده في نشأته نشأة سليمة، حيث جاءت في خباياها مجموعة من القيم الروحية والدينية والتربوية... إلخ، وكلها تهدف إلى إعداد جيل الغد.

المنارة للاستشارات
ww

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

- ناصر لوحيشي: رجاء، دار القلم، الجزائر، ط1، 2000م.

المراجع:

- أحمد نجيب: المضمون في كتب الأطفال، دار الفكر العربي، بيروت- لبنان، ط1، د.تط.
- العيد جلولي: النص الشعري الموجّه للأطفال في الجزائر، صدر عن وزارة الثقافة، 2008م.
- خروفة براك: شعر الأطفال والفتيان في الجزائر-رسالة ماجستير- مخطوط جامعة باجي مختار عنابة، 2002م.
- رضا بن حميد: الخطاب الشعري الحديث من اللغوي إلى الشكل البصري، مجلة فصول، العدد2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1996م.
- صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، مكتبة المثنى، بغداد، ط1، 1977م.
- محمد حسين بريغش: أدب الأطفال أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، د ت.
- محمد لطفي اليوسفي: بنية الشعر العربي المعاصر، دار ميراس، تونس، 1992م.
- محمود حسن إسماعيل: المرجع في أدب الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1995م.

* * * * *

المنارة للاستشارات

ww